منهج التقعيد النحويّ في المذاهب النحويَّة
(دراسة وصفيّة نحويّة)

اعداد

د. محمد الطيب البشير بابكر

أستاذ النحو والصرف المساعد ، قسم اللغة العربية ، كلية التربية – جامعة الخرطوم .

mohammedaaba1984@gmail.com

د. محمد سعد محمد أحمد

أستاذ النحو والصرف المساعد ، قسم اللغة العربية ، الكلية الجامعية برنية - جامعة الطائف ، المعار من قسم اللغة العربية - كلية التربية - جامعة الخرطوم .

.mohammedahamed36@yahoo.com

المستخلص:

سوف تحاول هذه الدراسة إمعان النظر في مناهج التقعيد النحوي في المذاهب النحوية المختلفة ؛ محاولة كشف اتجاهات المدارس النحوية في عملية وضع قواعد النحو ورسم ضوابطها ، وسوف تدلف إلى مناحي إفادة المذهب اللاحق من المذهب السابق أو المذاهب السابقة له .

ولعل الذي دفع للتطرق لهذا الموضوع حاجة الدرس النحوي إلى كشف الستار عن طرق هذه المدارس النحوية في عملية التقعيد ؛ إذ يمكن لهذا الأمر أن يعطي إشارات لطبيعة اختلافات آراء العلماء النحويين في المسائل النحوية المختلفة والذي نجده متناثراً في المصنفات العديدة ، خاصة بين المذهبين الأولين (البصري والكوفي) ، وقد تظهر الدراسة بعض الحقائق عن جوانب من اجتماع علماء كل منهج من المناهج الثلاث المتأخرة (البغدادي والأندلسي والمصري) على بعض الرؤى النحوية التي تصلح لأن يوسم بها كل مذهب منها .

وسوف يتتابع الحديث فيما يلي بدءاً من تقديم قصير ، ثم التطرق إلى المذاهب النحوية الخمس البصرية والكوفيّة والبغدادية والأندلسية والمصريّة ومنهج التقعيد النحوي في كل مدرسة ، ويختم بخاتمة يستبين فيها أهم ما توصلت له الدراسة من نتائج وتوصيات .

(***) الكلمات المفتاحية : منهج ، النحوي ، مذهب ، المدارس ، البصرة ، الكوفة
method - grammar – doctrine – schools – The Basrah - The Kufa

Abstract:

this study will attempt to examine the methods of grammatical grammar in various grammatical schools; try to uncover the grammatical schools' tendencies in the process of establishing grammatical rules and charting their disciplines. It will be divided into the following doctrines of the previous doctrine or the previous doctrines.

Perhaps this has led to the need to discuss the subject of the need for grammar lesson to reveal the ways of these grammar schools in the process of escalation; it can give signals to the nature of the differences of opinion of grammar scholars in the various grammatical issues, which we find scattered in many works, especially between the two first schools The study may show some facts about the aspects of the meeting of scholars of each of the three late approaches (Baghdadi, Andalusian and Egyptian) on some of the grammatical visions that are suitable to label each doctrine.

The speech will be followed by a short introduction, then the five grammatical doctrines, kufiyya, Baghdadiya, Andalusia and Egypt, and the grammatical approach in each school. It concludes by summarizing the main findings and recommendations of the study.

المقدمة :

جاء في لسان العرب أنَّ كلمة (منهج) تعني الطريق الواضح البيِّن ([1]) والمراد بـ (التقعيد) تلك العملية التي تمَّ من خلالها استنباط قواعد من كلام العرب لتصفه .

أمَّا كلمة (مدرسة) ففيما يبدو أنَّها مصطلح أطلقه المحدثون ولم يكن معروفاً عند الأقدمين ، والدليل على ذلك أنَّه لم يُسمع أحدٌ من النحاة قد أطلق لفظة (مدرسة) على المذهب النحوي ، بل كانوا يقولون : ومذهب أصحابنا أو مذهب سيبويه ... وهكذا . وربما استعاره المحدثون من الغربيين ، فنجد أنَّ طه حسين هو أول من أطلق لفظ (مدرسة) على شعر أوس بن حجر وأصحابه ، كما نجد أنَّ كلاً من العقاد والمازني وشكري قد استخدموا هذا المصطلح فكانت مدرسة الديوان . وأطلقها آخرون على أدب المهجر على ما فيه من خلافٍ كبير . أمَّا القدماء فقد كانوا يسمون هذه المدارس بالمذاهب كالمذهب البصري والكوفي والبغدادي . ولعلَّ الفرق بين المدرسة والمذهب أنَّ المدرسة لها مبادئ وأسس وخصائص ، وتكون مستقلةً بذاتها ومغايرة لنظيرتها إنْ وُجدت . أمَّا المذهب فهو المنهج ، وهو في الغالب يتكون نتيجةً لخلافاتٍ سطحية أو ثانوية مع الاتفاق في الأصول والخصائص العامة . وبهذا فإنَّ مصطلح (مدرسة) الذي أُطلق على المدارس النحوية ليس على درجةٍ عالية من الصحة ، إذ أنَّ خلافات النحاة بمذاهبهم المختلفة (بصري ، كوفي ، بغدادي ...إلخ) خلافات تنوعٍ وثراء ، خلافات سطحية ثانوية ، وليس خلافات أساس وتضاد ، فقد اتفقوا في الأصول واشتركوا في الثوابت ، فلم تكن خلافاتهم إلا في الفروع ، وما كان خلافه في الفروع فهو مذهب ، وما كان خلافه في الأصول فهو مدرسة . غير أنَّ هذا المصطلح ــ مصطلح مدرسة ــ قد حظي بالقبول وشاع بين الدارسين ، حتى صار الأكثر قبولاً وانتشارا .

هذا وقد أجمعت الروايات التاريخية على أنَّ نشأة النحو الأولى كانت بالبصرة أيام أبي الأسود الدولي . فما لبثت الأيام أنْ ذهبت حتى دخلت الكوفةُ شريكاً قوياً في وضعه ، فشكلت مذهباً نحوياً له منهجه وأسلوبه ، ثم توالت المذاهب ، فظهر إلى الوجود المذهب البغدادي والأندلسي والمصري . ولكل مذهب من هذه المذاهب منهجٌ يتباين بعض التباين عن مناهج بقية المذاهب الأخرى . ولعلَّ السبب الرئيس في قيام هذه المذاهب هو رؤية المذهب الناشئ خللاً منهجياً في المذاهب السابقة ، وظهوره يعد محاولةً لتجاوز ذلك الخلل . وسنعرض فيما يلي منهج كل مذهب مبينين وجه الخلل مع بيان كيفية معالجته لتلك الأخلال المنهجية ، وسنبدأ ــ إنْ شاء الله ــ بأُولى تلك المذاهب نشأةً وهو المذهب البصري .

منهج المذهب البصري في التقعيد النحويّ :

تأسس المذهب البصري مع نشأة النحو نفسه بل على يده نشأ ، فوضع رجالُه منهجاً به اتسم مذهبهم ، وبه قعدوا قواعده وأصلوا أصوله ، فكان ذلك الصنيع الضخم والعمل العظيم ، فلا بدَّ لنا من وصف ذلك المنهج قبل أنْ يجف مداد هذه الورقة .

أولاً : التشدد في السماع :

بنى البصريون منهجهم في عملية التقعيد النحوي على التشدد في السماع . والسماع لغةً ما سمعت به فشاع ([2]) أمَّا في اصطلاح العلماء فقد عرفه السيوطي بقوله : "ما ثبت في كلام العرب من يوثق بفصاحته فشمل كلام الله تعالى وهو القرآن ، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام العرب قبل

[1]/ انظر لسان العرب – ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ ، ج٢ ، ص٣٨٣ ، مادة (نهج) .

[2]/ انظر لسان العرب – ابن منظور ، ص١٦٥ ، مادة (سمع) .

بعثته وفي زمنه وبعده إلى زمنٍ فسدت فيه الألسنة بكثرة المولدين" (٣) ، وعرفه الجرجاني بقوله : "هو ما لم تذكر فيه قاعدة كليةٌ مشتملة على جزئياته" (٤) ، وعرفه عرفات مصطفى بقوله : "هو استماع علماء اللغة إلى الأعراب ونقل لغتهم عن طريق الرواية للاحتجاج بها" (٥) . فأخذ السماع من القبائل العربية التي لم تختلط بغيرها من الأمم كتميم وأسد وكنانة وغيرها وذلك لفصاحتها وعدم اختلاطها ، وهؤلاء من وُصفوا بحرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، وفي هذا دليلٌ على تبديهم . أمَّا طريقتهم في جمع اللغة فكانت وقفاً على السماع والتدوين من أفواه العرب الخلص ، وذلك إمَّا بالذهاب إليهم في بواديهم ليتلقوا من أفواههم لفظة أو كلمة أو ليسمعوا منهم شفاهة طرائق النطق وإلقاء الكلام ، أو يأخذوه من أعرابي وفد إلى إحدى الحواضر العربية بعد التأكد والتحري من سلامة لسانه وجودة قريحته ، بل ذهبوا إلى تقييد السماع والأخذ بجزءٍ محدودٍ من البادية وهو الجزء الغربي من نجد وما يتصل به من السفوح الشرقية لجبال الحجاز وهو الذي يسمونه عالية السافلة وسافلة العالية . يقول أبو عمرو بن العلاء ـــ وهو أحد أعلام البصريين ـــ : "لا أقول قالت العرب إلا سمعتُ من عالية السافلة وسافلة العالية" (٦) .

وقال أبو زيد : "لستُ أقول : قالت العرب إلا إذا سمعته من هؤلاء بكر بن هوازن وبني كلاب وبني هلال أو من عالية السافلة أو سافلة العالية وإلا لم أقل : قالت العرب" (٧) ، وهو القائل : "أفصح الناس سافلة العالية وعالية السافلة" (٨) ، والمراد بها عجز هوازن والمناطق الغربية من نجد والشرقية من الحجاز .

وكما حددوا حدوداً مكانية للسماع والأخذ فقد حددوا ـــ أيضاً ـــ حدوداً زمانية ؛ ففي البادية كانت تلك الحدود حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، وفي الحواضر إلى منتصف القرن الثاني الهجري ، كما تشددوا في السماع والأخذ والاستشهاد بشعر الشعراء فجعلوا إبراهيم بن هرمة آخر من يستشهد بشعره وبشار بن برد أول من لم يستشهد بشعره ، بل ذهب بعضهم في التشدد إلى أبعد من ذلك من أولئك أبو عمرو بن العلاء الذي قال عنه الأصمعي : "جلستُ إلى أبي عمرو بن العلاء عشر حجج ما سمعتُه يحتج ببيتٍ إسلامي" (٩) .

ولا نكونُ بمنأى عن الصواب إذا قلتُ : أكثرُ البصريين تساهلاً في السماع يمكن وصفه بالتشدد فيه وفي الأخذ عن الأعراب ناهيك عن بقيتهم .

٣/ الاقتراح في علم أُصول النحو – السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، قرأه وعلَّق عليه : محمد سليمان ياقوت ، دار المعارف الجامعية ، بلا م ن ، ط١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م ، ص٢٤ .

٤/ كتاب التعريفات – الجرجاني : علي بن محمد بن علي الزين الشريف ، ضبطه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ط١ ، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م ، ص١٢١ .

٥/ أبو الخطاب الأخفش الكبير (حياته . آراؤه) – حياة مصطفى محمد عقاب ، بلا ن ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، ص٥١ .

٦/ أبو الخطاب الأخفش الكبير (حياته . آراؤه) – حياة مصطفى ، ص٦١ .

٧/ المزهر في علوم اللغة وأنواعها – السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، تحقيق : فؤاد منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م ، ج١ ، ص١١٨ .

٨/ العمدة في محاسن الشعر وآدابه – ابن رشيق القيرواني : أبو علي الحسن بن رشيق ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بلا م ن ، ط٥ ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ، ج١ ، ص٨٩ .

٩/ البيان والتبيين – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ، دار ومكتبة هلال ، بيروت ، ط١٤٢٣هـ ، ج١ ، ٢٦١ .

وعليه فإنَّ منهجهم في السماع والأخذ عن الأعراب قد بني على التثبت والتحقق لدرجة التشدد فيه ، وهذا ما جعلهم يفتخرون على غيرهم بقولهم : "إنَّما أخذنا اللغة من حرشة الضباب وأكلة اليرابيع وهؤلاء أخذوا اللغة من أهل السواد أكلة الكواميخ والشواريز" ([١٠]) .

ثانياً : الميل إلى القياس النحوي :

القياس هو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه ، والنحو علمٌ بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب ، ومصادر العلوم ثلاثة الأخذ بالسماع والنصوص أو بالاستنباط والقياس أو بالانتزاع من علمٍ آخر ([١١]) إذاً القياس بهذا المعنى عبارة عن محاكاة للعرب في طرائقهم اللغوية ، وعليه فإنَّ للقياس أربعة أركان هي : أصلٌ وهو المقيس عليه ، وفرعٌ وحكمٌ وعلَّة جامعة ، وقد فصَّل السيوطي في هذه الأركان الأربعة ([١٢]) .

وبعد بيان معنى القياس وأركانه نقولُ : لسانُ العرب أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً ، ولا يحيط بألسنتهم ـــ كما قيل ـــ غير نبي ؛ لذلك كان من المتعذر أن تُبنى كل القواعد على المسموع ؛ لأنَّه ـــ كما قلنا ـــ لا يتسنى لأحدٍ أن يحيط بكلام العرب ، وعليه فلا ضير من استخدام القياس .

لذلك استخدم البصريون القياس منهجاً لهم في عملية التقعيد ، وبدأ استخدام القياس عندهم في زمنٍ مبكر أيام ابن أبي إسحق الحضرمي الذي قال عنه ابن سلام الجمحي : "وكان أول من بعج النحو ومدَّ القياس والعلل" ([١٣]) . وقد أرشد أبو عمرو بن العلاء تلميذه يونس بن حبيب إلى استخدام القياس بقوله : "عليك ببابٍ من النحو يطرد وينقاس" ([١٤]) ، وحذا حذوهم الخليل وسيبويه وكل بصري أتى من بعدهم ، فهذا هو الخليل يقول : "ما قيس من كلام العرب فهو من كلامهم وما لم يكن من كلام العرب فليس له معنى في كلامهم" ([١٥]) .

وعليه فإنَّ القياس كان منهجاً للبصريين بنوا عليه الكثير من القواعد ومع اعتمادهم عليه في تقعيد كثير من قواعدهم إلا أنَّهم لم يطلقوا له العنان وقيدوه ؛ وتمثل ذلك القيد في عدم القياس إلا على ما شاع وانتشر وعُرف وألف من كلام العرب ، لذلك منعوا القياس على الشاذ وعلى حديث الآحاد ، وإذا ورد عن العرب شيء من هذا القبيل أولّوه أو تركوه كما هو يستخدم ولا يقاس عليه .

وقدّم البصريون في منهجهم السماع الشائع على القياس بينما قدموا القياس على السماع في حالة عدم شيوع المسموع .

وعليه يمكن القول كما تشدد البصريون في الأخذ والسماع تشددوا كذلك في ضبط القياس وطرحوا الشاذ ولم يعولوا عليه ، وكلما اصطدموا به خطّؤوه أو أوَّلوه .

---

[١٠]/ الفهرست – ابن النديم : أبو الفرج محمد بن إسحق بن محمد الوراق ، تحقيق : إبراهيم رمضان ، دار المعارف ، بيروت ـ لبنان ، ط٢ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م ، ص٨٢ .

[١١]/ انظر الاقتراح – السيوطي ، ص٥٩ .

[١٢]/ انظر المصدر السابق ، ص٦٠ .

[١٣]/ طبقات فحول الشعراء – ابن سلام الجمحي : محمد بن سلام ، قرأه وشرحه : أبو فهر محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، مطبعة المدني ، بلا ت ط ، ج١ ، ص١٤ .

[١٤]/ المصدر السابق ، ج١ ، ص١٥ .

[١٥]/ المنصف (شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني) – ابن جني : أبو الفتح عثمان ، دار إحياء التراث القديم ، بلا م ن ، ط١ ، ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤م ، ص١٨٠ .

ثالثاً : استخدام العقل والمنطق :

استخدم نحاة المذهب البصري العقل والمنطق أيَّما استخدام ، وجعلوه منهجاً لمذهبهم ؛ والسبب في ذلك أنَّ حياة البصرة اتسمت بالأمن والاستقرار وهدأت فيها نار العصبية العربية ، فانصهر فيها الجنس العربي والأعجمي ، فتنوعت فيها الثقافات ؛ لأنَّ مجتمعها كان بقايا حضارات سابقة فأدى ذلك الاستقرار وذلك التنوع وتلك الثقافات إلى تفتح الأذهان وإعمال الفكر حتى بزَّ العراق سائر الأمصار في اختراع العلوم وتدوينها خاصة علم النحو ، وكيف لا تكون البصرة رائدة المجال في إعمال الفكر والمنطق وقد اجتمعت فيها العروبة والأعجمية مع ثقافة واسعة عميقة . ولعلَّ من أبرز مظاهر استخدام مدرسة البصرة النحوية للعقل والمنطق ما يلي :

١/ اطراد الأحكام :

عمل البصريون على أنَّ يجعلوا منهجهم منهجاً علمياً دقيقاً ، وسعوا إلى ضبط قواعده والتأليف بين جزئياتها ومعالجة التناقض والتضارب ، وسلكوا في ذلك مسالك شتى جعلت قواعدهم في نهاية المطاف قواعد راسخة ثابتة ثبوت الجبال الراسيات أمام من حاولوا أن يوجهوا أسهم نقدهم لتلك القواعد ؛ ولعلَّ ذلك هو السر في قبول الأجيال للقواعد البصرية جيلاً بعد جيل على مرِّ الليالي والأزمان ؛ وما ذلك إلا لإحكام تلك القواعد ، الأمر الذي صبغ علي مذهبهم الصبغة العلمية التعليمية .

٢/ ضبط السماع والقياس :

تظهر العقلية البصرية جلية في مسألة ضبط كل من السماع والقياس ضبطاً يمنع الزيغ والانحراف .

٣/ استخدام التأويل :

وجد نحاة البصرة أنفسهم أمام نصوصٍ استعملها العرب الفصحاء ونقلها النحاة الثقاة ولكنها في ذات الوقت مخالفة لقواعدهم ، فما كان أمامهم إلا إعمال عقولهم في تخريج تلك النصوص ففروا إلى التأويل وهو تقدير الكلام وذلك بإعادة صياغة الكلام وفق نوايا المتحدث ومراده على رغم عدم تصريحه حتى تلتئم قواعدهم . ومن قواعدهم التي اصطدمت ببعض الشواهد الشعرية القاعدة القائلة (بعدم جواز تقدم معمول خبر كان على اسمها) والتي اصطدمت بقول الفرزدق من الطويل ([١٦]) :

قَنافِذُ هَدَّاجُونَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ *** بِمَا كانَ إيَّاهُمْ عَطِيَّةُ عَوَّدَا

والشاهد في قول الفرزدق أنَّ معمول خبر كان (إيَّاهم) تقدم على اسمها (عطية) وهذا منافٍ لما قعَّده البصريون ؛ لذلك ذهب البصريون إلى أنَّ الحقيقة على غير الظاهر ؛ إذ أنَّ اسم كان هو (ضمير الشأن) وليس لفظة (عطية) وخبرها جملة (عطية عودا) ([١٧]) وبهذا التأويل يكونون قد وفقوا بين قاعدتهم التي قعدوها على الأعم الأغلب من كلام العرب وبين قول الفرزدق .

إذاً ليس من الخطأ بمكان أنْ يُقال نشأ التأويل بالبصرة وكثر عند نحاتها لتطرد قواعدهم وتطور بتطور النزعة الكلامية ، فكل ما خالف قواعدهم أولوه . وعليه يمكن القول إنَّ التأويل هو إعمال العقل والفكر في تقدير كلام العرب تقديراً يخضعه لقواعدهم .

٤/ التعليل :

---

[١٦]/ انظر شرح ديوان الفرزدق – إليا الحاوي ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٣م ، ج١ ، ص٣٠٧ .

[١٧]/ انظر شرح الكافية الشافية – ابن مالك : أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي ، تحقيق : عبد المنعم أحمد هريدي ، جامعة أم القرى ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، مكة المكرمة ، ط١ ، بلا ت ط ، ج١ ، ص٤٠٣ .

التعليل في اللغة : المدافعة والاشتغال والتشاغل والإلهاء والتلاهي ([١٨]) ، وفي اصطلاح النحاة هو : بيان سبب ابتداع العرب ظاهرة لغوية ([١٩]) . والتعليلُ هو تفسير الظاهرة اللغوية تفسيراً منطقياً مقنعاً ، والتعليلُ هو الدليل والبرهان والحجة على صحة الحكم النحوي ، ويمكن القول إنَّ التعليل هو المنطق النحوي .

وقد علل البصريون أحكام قواعدهم حتى جعلوا العلة النحوية والحكم النحوي لا يفترقان ، فلا غنى لأحدهما عن الآخر ؛ وقد أتى البصريون بالعلل لتقوية الحكم والإقناع بصحته ، والحكم ــ عندهم ــ بلا علة يكون حشواً مكيلا وحثواً مهيلا ، فالصلة بينهما ــ عندهم ــ لا تنفصم عراها .

فساعد التعليلُ البصريين في ملاءمة القواعد والائتلاف بين الأحكام النحوية ، فألجم البصريون بالتعليل ألسنةَ المكابرين والمعاندين بالحجة والمنطق .

والعلةُ عملٌ عقليٌ محض ، فالعربُ لم تعلل كلامها وإنَّما طُبع في دواخلها ثم نطقت به ، ثم أخذ النحاة في البحث عن أسباب تلك الصيغ والأساليب ، وقد بين هذا العمل العقلي البصري الحكمة الواعية العميقة في نظم كلام الأعراب بهذا النسق المنقطع النظير ، فكان التعليل عندهم مظهراً من مظاهر إعمال الفكر والمنطق .

رابعاً : الاحتجاج بالقرآن الكريم وبعض قراءاته :

احتجَّ البصريون واستشهدوا بآيات كتاب الله الكريم ، ووضعوا عليها الكثير من قواعدهم ، ولكن على ما تواتر منها ، ولم يلتفتوا للقراءات الشاذة ؛ لأنَّ منهجهم بُني على الأعم الأغلب ، فأوَّلوا بعضها وضعَّفوا بعضها وردُّوا بعضها الآخر ، وربما لا يظهر هذا الرد لبعض تلك القراءات عند الأوائل منهم أمثال سيبويه ، ولكنه يظهر جلياً واضحاً عند نحاة القرن الثالث الهجري من البصريين ، وفي ذلك يقول حياة مصطفى : "والبصريون هم الذين كانوا لا يحتجون ببعض القراءات ، ثم كانوا يسعون لتأويلها حتى توافق منهجهم في القياس" ([٢٠]) .

لقد اعتمد البصريون ــ في تقعيدهم ــ على لغة القرآن ؛ حيث أخذوا بمعظم القراءات وأوّلوا القليل منها ممّا لا يتماشى مع قواعدهم أو رفضوه ؛ علماً بأنَّ هذه القراءات التي لم يأخذوا بها لها سند صحيح ، وفيما يلي نماذج تبين تخطئة البصريين لبعض القراءات ؛ لمخالفتها ما أصلوه وقعَّدوه .

تخطئة قراءة ابن عامر مقرئ أهل الشام في قوله تعالى : چ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ چ ([٢١]) بنصب (أولادهم) وجرَّ (شركائهم) ([٢٢]) وسبب تخطئة القراءة السابقة ما قعَّدوه ، وهو امتناع الفصل بين المضاف والمضاف إليه في غير ضرورة الشعر ؛ لذلك رفضوا قراءة ابن عامر ، مع أنَّها من القراءات السبع ولها سندٌ متصل ([٢٣])

---

[١٨]/ انظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – الجوهري : أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطا ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، ج٥ ، مادة (علل) .

[١٩]/ انظر التعليل النحوي في الدرس اللغوي القديم والحديث – الكندي : خالد بن سليمان بن مهنا ، دار المسيرة ، عمان ، ط١ ، ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٧م ، ص١٢٢ .

[٢٠]/ أبو الخطاب الأخفش الكبير – حياة مصطفى ، ص٦٤ .

[٢١]/ الأنعام : ١٣٧ .

[٢٢]/ انظر معاني القراءات – الأزهري : أبو منصور محمد بن أحمد الهروي ، مركز البحوث كلية الآداب ، جامعة الملك سعود . المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٢٢هـ . ١٩٩١م ، ج١ ، ص٣٨٨ .

[٢٣]/ انظر توضيح المقصد والمسلك بشرح ألفية بن مالك – المرادي : أبو محمد بدر الدين حسن بن عبد الله بن علي ، تحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، دار الفكر العربي ، بلا م ن ، ط١ ، ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٨م ، ج٢ ، ص٨٢٤ .

وكذلك من شواهدهم على تخطئة القراءات القرآنية ما ورد في قراءة حمزة الزيات ـــ وهو أحد القراء السبعة ـــ في قوله تعالى : (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ) [٢٤] بجر لفظة (الأرحام) [٢٥] ووجه التخطئة أنَّهم لا يجيزون العطف على الضمير المجرور إلا بعد إعادة الجار ، واستثنوا من ذلك ما ورد في ضرورة الشعر [٢٦] .

فإذا كان هذا هو موقف البصريين من بعض القراءات المشهورة المتواترة فإنَّهم من غير شكٍ لا يأخذون بالشاذ منها على اتصال سندها .

إهمال الحديث النبوي الشريف :

على الرغم من أنَّ الحديث النبوي الشريف في عداد المصادر التي قُعِّدَ عليها علم النحو إلا أنَّ البصريين لم يستشهدوا به مع فصاحة صاحبه صلى الله عليه وسلم ، معللين ذلك بأنَّ الأحاديث رويت بالمعنى ؛ ولأنَّه لم يدون إلا بعد المائة الثانية للهجرة ، ومع ذلك لم تخلُ مؤلفاتهم منه ، ولكنه قد بلغ في أكثرها حد الندرة ، وخير دليلٍ على ذلك كتاب سيبويه .

سادساً : تخطئة الأعراب :

بما أنَّ البصريين قد خطأوا بعض القراءات مع اتصال سندها ، فلا غرابة في تخطئتهم لبعض الأعراب ؛ إذ لم يكن البصريون يقدسون كل ما روي عن الأعراب كما فعل الكوفيون ، وكان شغلهم الشاغل انتظام قواعدهم المبنية على كلام الأكثرية وعدم تضاربها ، فتعصبوا لقواعدهم في سبيل تحقيق تلك الغاية حتى إن كلفهم الأمر أن يخطئوا بعض الأعراب والشعراء المشهود لهم بالفصاحة ، كتخطئة الحضرمي للفرزدق ، إلا أنَّهم لم يلجأوا إلى التخطئة إلا بعد انعدام كافة السبل العقلية المنطقية كالتأويل ـــــ مثلاً ـــــ في تخريج النص الموصوف بالخطأ ، حينها لا يترددون في تخطئتهم .

سابعاً : نظرية العامل :

هي نظرية عقلية منطقية مجردة تقوم على أساس العامل والمعمول ؛ أي أنَّ لكل حُكمٍ نحوي عاملٌ في وجوده ، فمثلاً عامل الرفع في الفاعل وعامل النصب في المفعول هو الفعل ، وعامل النصب في اسم إنَّ هو (إنَّ) ، وهذان العاملان لفظيان ، وعامل الرفع في المبتدأ هو الابتداء ، وهذا عاملٌ معنوي ، ووضعوا لعمل هذه العوامل شروط ، فمن شروط عمل الحروف أن تختص ، فالحروف العاملة في الأسماء تختص بدخولها على الأسماء دون الأفعال ، والحروف العاملة في الأفعال تختص بدخولها على الأفعال دون الأسماء ، وهكذا أسهمت نظرية العامل في تقعيد القواعد.

والناظر لهذه النظرية يرى أنَّه لا حقيقة لها في اللغة ، وإنَّما هي صنيعٌ عقلي أوجده البصريون ليساعد في تنظيم وضع القواعد النحوية واطرادها . إذاً يمكن القول إنَّ هذه النظرية هي وسيلةٌ استعان بها البصريون في بناء قواعدهم النحوية ، إلا أنَّهم سرعان ما أوْلُوها اهتماماً بالغاً حتى صارتْ محل جدلٍ بين النحاة ، فوقع خلافٌ بين نحاة المذاهب حولها ، حتى صارت غاية يدافع كل فريقٍ عن صحتها ، لذلك لم تسلم هذه النظرية قديماً ولا حديثاً من النقد ، وقامتْ ثوراتٌ ونادتْ

---

[٢٤]/ النساء : ١ .

[٢٥]/ انظر كتاب السبع في القراءات – ابن مجاهد : أحمد بن موسى العباس أبو بكر ، تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٤٠٠هـ ، ص٢٢٦ .

[٢٦]/ انظر الكامل في اللغة والأدب – المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م ، ج٣ ، ص٣٠ . وانظر الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين – ابن الأنباري : أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري ، المكتبة العصرية ، بلا م ن ، ط١ ، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م ، ج٢ ، ص٣٨٢ .

أصواتٌ بهدمها والتخلص منها ، إلا أنَّ البصريين أرسوا دعائمها ومكنوا أمرها ، حتى بات إلغاؤها أمراً متعذرا ، وممَّن نادوا بإلغائها ابن مضاء القرطبي في كتابه (الرد على النحاة) ، إلا أنَّ دعوته كانت صيحةً في وادٍ ، فلم يُكتب لدعوته النجاح ، ومهما يكن من أمر صحة وخطأ نظرية العامل فإنَّها منهجٌ مهمٌ من مناهج المذهب البصري في تقعيد القواعد النحوية .

تلك هي المنهجية التي انتهجها المذهب البصري في عملية التقعيد النحوية ، وقد حُظيتْ بالقبول عند جماعة من العلماء ، كما حُظيتْ بالمقابل بجملة من الانتقادات ، شأنها في ذلك شأن كل المناهج البشرية التي تخضع للاختبار والتجريد ، والكمال لله وحده .

ما يُؤخذ على المنهج البصري :

بدايةً نودُّ أنْ نقولَ إنَّ النقد لا يقلل من شأن المنتقَد ، وإنَّه أمرٌ طبيعي ؛ إذ لا يمكن جمع الخلائق على رأيٍ أو رؤيةٍ واحدة ؛ لأنَّ ذلك يخالف أصل الفطرة والخلقة والنشأة الأولى ، وهذا يقتضي استقبال الخلاف في الرأي وعدّه ظاهرة طبيعية .

وعليه نقولُ إنَّ ما أُخذ على المنهج البصري لا يقلل من شأنه ، وإنَّما تلك المآخذ عبارة عن عملية تقويمية جاءت بعد تقييمٍ ومفاتشة لذلك المنهج الذي بذل فيه أصحابه جهداً منقطع النظير ، وكفى بالمرء نبلاً أنْ تُعدَّ معايبه ؛ لذلك سنعرضُ هذه المآخذ بموضوعية تامة بعيداً عن الانحياز أو التحامل ، وكما هو معروفٌ في منهج البحث العلمي . ويمكن تلخيص ما عُدّ من المآخذ في الآتي :

أ/ نقد الاستقراء :

تشدُّدُ البصريين في الأخذ والسماع جعل استقراءهم يُوجّه له بعض النقد ، سواء أكان ذلك على تحديد مستوى القبائل أو على مستوى بعض القراءات المتواترة القليلة ؛ فبهذا الاستقراء - حسب رأي منتقديهم - فوَّتَ البصريون على مذهبهم بعضاً من اللهجات البدوية الفصيحة ، كما فوتوا قسماً يسيراً من القراءات المتواترة السند . كما زعم النقاد لنهجهم أنهم رفضوا الأخذ من القبائل المخالطة لغير العرب ومع ذلك جوّزوا لأنفسهم الأخذ من قريش وهي من القبائل المخالطة لغيرها ، وقد ذهب الأستاذ حياة مصطفى إلى مسألة لم نُلقِ لها بالاً وهو أنَّ البصريين يعتدون بالقبيلة التي ارتضوها للأخذ ، فيأخذون منها كلَّ ما تقول ومن جميع أفرادها الفصحاء أيَّاً كان مبلغ علمهم وثقافتهم ، لذلك أخذوا من الصبية والبلهاء والأجلاف وأهل الأهواء والمجانين ، واستدلوا بنماذج ، واستدلَّ هو على ذلك بنماذج ذُكرتْ في مزهر السيوطي لا مجال لذكرها ([٢٧]) .

ب/ تخطئة الأعراب :

إنَّ ممَّا عابه بعضهم على منهج نحاة البصرة تخطئة نحاته للأعراب الفصحاء ؛ وذلك لعدم موافقة كلامهم لأصولهم ، وفي ذلك يقول إبراهيم السمرائي : "وقد يُعجب المرء حين يراهم يخطئون الجاهليين" ([٢٨]) .

ولعل في هذا الرأي نظرٌ ؛ إذ أنّ البصريين في الغالب الأعم يأوّلون من خالف قواعدهم من أقوال العرب الفصحاء أو يعدّونه شاذاً لا يُقاس عليه .

ثالثاً : غلبة الشواهد الشعرية على الشواهد النثرية :

إنَّ لغة الشعر لغة خاصة يضبطها الوزن والقافية ، فكثيراً ما يجوز فيها ما لا يجوز في النثر ؛ لذلك أفرد النحاة باباً يسمى (ما يُباح في ضرورة الشعر) ، ووجه الخلل في ذلك بالتحديد أنَّ كثيراً من قواعدهم قُعِّدتْ بناءً على الشعر لا النثر ، وألزموا النثر بتلك القواعد ، علماً بأنَّ لكلٍ أُسلوباً يختلف عن الآخر . فلماذا ألزموا النثر بقواعد الشعر؟ وقد يقولُ قائلٌ : إنَّ الشعَر مثلُ النثر إلا في بعض الأشياء وقد حددها النحاة وأسموها بالضرورات ولم يُعملوها في النثر ، نقولُ : ليس الأمر

---

[٢٧]/ انظر أبو الخطاب الأخفش الكبير – حياة مصطفى ، ص٧١ .

[٢٨]/ المدارس النحوية أسطورة وواقع – إبراهيم السمرائي ، دار الفكر ، عمان ، ط١ ، ١٩٨٧م .، ص٢٤ .

كذلك ؛ لأنَّ الشعر خلاف النثر ، والدليل على ذلك خذْ بيتاً من الشعر وحاول ترجمة كلماته ترجمةً حرفيةً لتُكوِّنَ بذلك جملةً نثريةً تؤدي معنى البيت ، عندها تجد لديك مجموعة من الكلمات المبعثرة التي لا رابط بينها ؛ إذ رابطها في الشعر هو الوزن ، وبما أنَّ الشعرَ مصحوبٌ بالوزن وليس النثر كذلك هنالك الكثير من القواعد النحوية التي قُعِّدتْ من الشعر وأُلزم بها النثر . وهذا لا يعني أنَّه لا يوجد قاسم مشترك بين الشعر والنثر ، ولكن ليس بهذا المقدار الذي قدره نحاة البصرة ، هذا مع علو قدرهم وعظيم صنيعهم ، ولكن ربما جاز الاستشهاد بالشعر والتقعيد منه في المسائل الصرفية أكثر منه في المسائل النحوية ؛ إذ أنَّ بنية الكلمة في الشعر هي ذات البنية في النثر ، غير أنَّ النحو يتعلق بالأساليب التي تتعلق بالتركيب من تقديمٍ وتأخيرٍ وذكرٍ وحذفٍ وتقديرٍ وتأويلٍ وما إلى ذلك .

رابعاً : عدم تحديد مقدار الشيوع والتواتر الذي يصح عليه تقعيد قاعدة نحوية :

هذا الأمر يمثل خللاً ؛ لأنَّه ربما كان الذي عُدّ شائعاً في نظر أحد النحاة لم يكن شائعاً عند الآخر ، فعدم الضبط الدقيق هو عين الخلل ، وفي ذلك يقول عباس حسن : "لم يذكروا حدَّ القلة والكثرة ، ولا وصفوا واحداً منها وصفاً يزيل عنه الإبهام والغموض ، ولستُ أعرفُ فيما وقع لي من المراجع من تصدي لهذا التحديد وكشف الإبهام ، فمتى نقولُ عن النظائر أنَّها كثيرةٌ يُقاسُ عليها أو قليلة لا يقاس عليها ؟ ما الفصل الذي نحتكم إليه في أمر هذه الكثرة والقلة ؟ أتكون الكثرة بثلاث أم بأربع أم بعشر أم بخمسين أم بمئة أم بألف ؟ أم بماذا ؟ لا جواب إلا القلة والكثرة وكفى !" ([٢٩]) .

خامساً : ردُّ البصريين لبعض القراءات القرآنية المتواترة السند :

إنَّ ممَّا يؤخذ على البصريين ردهم لبعض القراءات القرآنية المتواترة السند ما شهر منها وما شذَّ ، كما أخذ عليهم ـــ كذلك ـــ عدم تقعيدهم على القراءة ما لم تعضَّد بشاهدٍ من الشعر أو كلام العرب ، هذا الأمر جلب لمذهبهم نقداً لاذعاً من قبل الكثير من العلماء قديماً وحديثاً ، فهذا هو ابن حزم الظاهري ذهب إلى أنَّ من النحاة من ينتزع من المقدار الذي يقف عليه من كلام العرب حكماً لفظياً ويتخذه مذهباً ، ثم تعرض له آية على خلاف ذلك الحكم ، فيأخذ في صرف الآية عن وجهها ... ولا عجب أعجب ممَّن وجد لامرئ القيس أو لزهير أو لجرير أو للحطيئة أو الطرماح أو لأعرابي أزدي أو سلمي أو تميمي أو من سائر أبناء العرب لفظاً في شعرٍ أو نثرٍ جعله في اللغة وقطع به ، ولم يعترض فيه ثمَّ إذا وجد لله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً لم يلتفت إليه ولا جعله حجة بل جعل يصرفه عن وجهه ويحرفه عن موضعه ، ويتحيل في إحالته عمَّا أوقع الله عليه ، وإذا وجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم كلاماً فعل به مثل ذلك ([٣٠]) .

وذهب الإمام الرازي إلى أنَّ تجويز إثبات اللغة بشعرٍ مجهولٍ منقول عن قائل مجهول أولى منه إثباتها بالقرآن الكريم ، كما ذهب إلى أنَّ كثيراً من النحويين متحيزون في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن ، فإذا استشهدوا في تقريرها ببيتٍ مجهول فرحوا به ، وتعجب منهم أشد العجب في جعلهم ذلك المجهول دليلاً على صحة القراءة ، وعنده الواجب أن يُجعل القرآن الكريم دليلاً على صحتها لا العكس ([٣١]) . ونرى فيما نرى أنَّ قبول النحاة الاستشهاد بقراءة متواترة أو قل شاذة ولكنها صحيحة السند أولى من الاستشهاد ببيت شعرٍ مجهول القائل .

سادساً : عدم الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف :

---

[٢٩]/ رأيٌ في بعض الأُصول اللغوية والنحوية – عباس حسن ، مطبعة العالم العربي ، القاهرة ، ط١٣٧١هـ . ١٩٥١م ، ص٣٢

[٣٠]/ انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل – ابن حزم الظاهري : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، بلا ط ، بلا ت ط ، ج٣ ، ص١٠٨ .

[٣١]/ انظر مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) – فخر الدين الرازي : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٠هـ ، ج٩ ، ص٤٠١ .

وجه الخلل في عدم الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف مداره أنَّه ليس كل الأحاديث رُويت بالمعنى ، فهنالك جملةٌ من الأحاديث كان كل سندها عربياً محضا ، وهنالك جملة من الأحاديث رويت لفظاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك لم يلتفت النحاة البصريون إليها ، وعلماء الأحاديث اهتموا بالجرح والتعديل ، في حين لم يهتم النحاة بأمر الجرح والتعديل ـــ بذات المقدار ـــ عمَّن أخذوا عنهم ، فهذا هو الخليل بن أحمد يقول : "إنَّ النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنيت" ([٣٢]) . وقد عُرف بعض علماء الحديث من كبار التابعين الموالي بالصدق والعدل والفصاحة أمثال عامر بن شراحيل الشعبي والحسن البصري ، فهم ثقاة في مجال الحديث ، أخذوه من أفواه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . ونعرفُ فيما نعرفُ أنَّ الشعبي كان راسخ القدم في الحفظ ، حتى استأمنه عبد الملك بن مروان وجعله رسولاً له ، وأنَّ الحسن البصري شهد خمسمائة من الصحابة رضوان الله عليهم ، فهما ثقة في مجال الحديث ، كما أنَّ سيبويه ثقة ـــ وهو فارسي ـــ في مجال النحو .

إذاً يُعدُّ عدم الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف – عند منتقدي المذهب البصري - خللاً منهجياً وقع فيه نحاة المذهب البصري خاصة الأحاديث المرويّة باللفظ ورواتها ثقاة .

ويغلب الظنّ بأن قبيلاً من الأسباب في عدم الاستشهاد بالحديث النبويّ الشريف قد يعزى إلى أنّ مادة الحديث النبوي الشريف خلتْ عمَّا شذَّ عن قواعدهم ، ويُستأنس لهذا الرأي عندما يُعلم أنّ كثيراً من شواهدهم تأتي في إطار ما خرج عمَّا قعدوه وشذَّ عمَّا وضعوه ، وهذا ما لم يلمسوه في أحاديثه صلى الله عليه وسلم . وعليه فإنَّ الآخذَ بهذا السبب الذي رأيْنا لا يُعَدُّ عنده عدم الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف خللاً منهجياً يُوصف به المذهب البصري .

سابعاً : اعتماد المذهب البصري تصنيفاً يقدّم لغة القبائل البدويّة على بعض القراءات :

قدم المذهبُ البصري في الاحتجاج لغة القبائل البدوية على قليل من القراءات المتواترة التي خالفت قواعدهم ، ولا خلاف بين العلماء في كون لغة القرآن أفصح اللغات بلاغةً وبياناً ، فإذا قال قائلٌ : إنَّ المصدر الأول هو لغة القرآن ، والقرآن على لغتهم نزل ، فلا غضاضة في تقديمها على القرآن يمكن الرد عليه بأنَّ الإشكالية تكمن في الأخذ والسماع لا في لغة الأعراب ، وإنَّ الأخذ من أعراب البدو مجهود بشري قابل لمبدأ الخطأ والصواب ، بينما القرآن سماوي لا مجال فيه للخطأ ، فهو بلا شك لغة أولئك البدو الخلص ، غير أنَّه أوثق في صحة الأخذ .

وبعد ذلك العرض لتلك الهنات المنهجية نقولُ : وضع البصريون منهجهم وعكفوا على تطبيقه حتى حكموا على بعضٍ من الألفاظ والأساليب الصحيحة بالخطأ ، ونسوا من طول الملازمة والإيمان به أنَّهم واضعوه وأنَّهم قصدوا به كشف الحقيقة . فكانوا بمنهجهم هذا أكثر حريةً وأقوى عقلاً وطريقهم أكثر تنظيماً وأقوى سلطاناً على اللغة نفسها . ونعتذرُ لهم بأنَّهم قصدوا بهذا المنهج أنْ يُنشئوا لغةً يسودها النظام ، ويقتلوا كلَّ أسباب الفوضى ، من روايةٍ ضعيفةٍ أو موضوعة ، أو قولٍ لا يتماشى مع المنطق .

وعليه فإنَّ جملة ما توصلنا إليه هو أنَّ المنهج البصري سار على مذهبٍ أخرج اللغة من أُسلوبها الفطري القديم الذي جرت عليه الطبقات الأولى إلى أُسلوب فكري جدلي ؛ فجعلها عقلية تجري على قوانين ثابتة .

والمتأمل لهذا المنهج يجد ـــ مع ما ذكرنا ـــ أنَّه نظَّم اللُّغة ويسَّر عملية تعلمها وحقق الغاية من النحو ، بل فتح باباً ـــ لم يكن ليفتح ـــ أبهر العقلَ وأثارَ الخيالَ حولَ اتساق تلك اللغة وانسجامها وفق نظام متناهٍ في الدقة والإبداع . وعليه يمكن إهدار تلك السلبيات القليلة أمام هذه الايجابيات على نحو ما أهدر أصحاب هذا المنهج القياسَ على الشاذ أمام القياس على الشائع .

---

[٣٢]/ المزهر في علوم اللغة وأدابها – السيوطي ، ج١ ، ١٠٧ .

منهج المذهب الكوفي في تقعيد القواعد النحوية :

نشأ المذهب الكوفي بعد المذهب البصري بنحو قرنٍ من الزمان ، فبعد أنْ أشبعتْ الكوفة حاجتها من القراءات القرآنية والتفسير والفقه وجمع الأشعار والأمثال والنوادر - وكان النحو قد شارف على الكمال على يد البصريين - أرادتْ أن تأخذ حقها من هذا العلم ، خاصة أنَّ له صلة وثيقة بالقراءات ، وأنَّ مادته متوفرة بين أيديهم ، فأخذوا ينهلون من البصريين ، وبعد استيعاب جيد لنحوهم وتسليمٍ تام بأُصوله وقفوا على تلك الخلافات النحوية التي دارت بين نحاة البصرة أنفسهم ، فبنوا عليها مذهبهم مع اختلافٍ طفيف في المنهج .

وكانت نشأة المذهب الكوفي على يد محمد بن أبي سارة المكنى بأبي جعفر الرؤاسي ومعاذ الهراء ، وتأسست على يد الكسائي والفراء . وبنشأة المذهب الكوفي نشطتْ حركة التأليف في النحو والتنافس بين العلماء ؛ فعُقِدتْ الدروس والمناظرات التي أسهمتْ في إكمال عملية التقعيد ، وعلى الرغم من أنَّ شيوخ المذهب الكوفي تتلمذوا على يد أساتذة البصرة وعلى الرغم من تسليم الكوفيين بأصول البصريين وعلى الرغم من أنَّ المذهب الكوفي يُعدُّ امتداداً للمذهب البصري ؛ فرغم ذلك كله فإنَّه قد وقع تغاير ـــــ غير كبير ـــــ في المنهج بين المدرستين . وفي أغلب الظن أنَّ تلك الأخلال المنهجية البصرية الآنفة الذكر هي التي عجَّلتْ بميلاد المذهب الكوفي النحوي ، في محاولة له لتجاوز أكبر قدر ممكن من تلك الأخلال التي وقع فيها نظيره . ومن أبرز مظاهر المنهج الكوفي ما يلي :

أولاً : عدم التشدد في أخذ اللُّغة والتوسع في السماع :

اعتمد الكوفيون في الأخذ ـــ كما فعل البصريون ـــ على لغة البدو وحرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، فأخذوها من تميم وأسد وغيرها ، كما اعتمدوا في الأخذ ـــــ بجانب ذلك ـــ على لغة الأرياف أكلة الشواريز وباعة الكواميخ ، فأخذوها من عرب الحطمة وبكر وتغلب وكثيرٍ ممَّن سكنوا سواد بغداد .

وبذا يكونون قد بنوا منهجهم النقلي على مبدأ التوسع وعدم التشدد في أخذ اللُّغة ؛ وفيما نظنُ أنَّ سبب هذا التوسع أنَّ الكوفيين وجدوا بين أيديهم مادةً ضخمةً جُمعتْ ـــــ سابقاً ـــــ من هؤلاء الأعراب الذين رفض البصريون الأخذ عنهم ، فأخذتهم العزة أن يهدروا هذا الكم الضخم المجموع ، هذا إضافة إلى نظرتهم في أنَّ التحديد والتضييق في الأخذ يهدر الكثير من اللُّغة .

ثانياً : الاعتماد على القراءات القرآنية المتواترة :

اعتمد المذهب الكوفي النحوي على جميع القراءات المتواترة ، وقعَّد نحاتُهُ عليها قواعدَهم ، كما تحللوا من ضرورة وجود شاهدٍ من شعرٍ جاهليٍّ أو كلامٍ بدوي لصحة الاحتجاج بالقراءات القرآنية في إثبات صحة قاعدةٍ نحويةٍ كما فعل البصريون ، وكانوا أكثر احتراماً للقراءات .

ثالثاً : التوسع في القياس :

بما أنَّ هنالك توسع في السماع فمن الطبيعي أن يكون هنالك توسع في القياس ، فقد قاس الكوفيون على ما قاس عليه البصريون ، وزادوا عليه القياس على الشاذ والضرورات والشواهد القليلة ، بل حدا بهم الأمر القياس على ما عُدم مقيسه من كلام العرب ؛ أي أنَّهم أطلقوا القياس النظري ([٣٣]) .

رابعاً : عدم الميل إلى التأويل :

---

[٣٣]/ انظر المدارس النحوية – خديجة الحديثي ، دار الأمل ، أربد . الأردن ، ط٣ ، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م ، ص١٥٣ . وانظر المدارس النحوية – شوقي ضيف ، ص١٦٤ .

لم يكن الكوفيون كالبصريين يكثرون من التأويل ، بل كانوا يعتدون بظاهر الآيات والأبيات الشعرية كما فعل الكسائي ([٣٤]) .

خامساً : رفض التعليل :

رفض الكوفيون على لسان الكسائي التعليل ، إلا أنَّهم سرعان ما وجدوا أنفسهم في حاجة ماسة إليه ؛ إذ أنَّه الدليل على صحة قواعدهم ([٣٥]) فلجأوا إليه واستعملوه .

سادساً : قداسة اللُّغة وعدم تخطئة الأعراب :

قدَّس الكوفيون اللُّغة وعظموا الأعراب وقبلوا ما عندهم حتى ما خرج عن المألوف ، أو قل ما خرج عن قواعدهم ، رغم ذلك الخروج لم يخطئوا أحدهم ، بل قبلوا الشاذ واعتنوا بأخبار الآحاد التي صحَّ سندُها ، فصاغوا عليها قواعدهم ، واعتبروا اللغة طبيعة لا تقيد بقيود المنطق ولا تحد بحدود .

ما يؤخذ على المنهج الكوفي :

إنْ كان الكوفيون قد تجاوزوا بعض الأخطاء المنهجية التي وقع فيها المذهب البصري فإنَّهم كذلك لم يسلموا من بعض الأخطاء ، ولعلَّ مما يؤخذ على منهجهم ما يأتي ([٣٦]):

أ/ أخذهم اللُّغة من أعراب أُتهموا بالاختلاط كعرب الحطمة لقربهم من بغداد .

ب/ إدخالهم القياس النظري في عملية تقعيدهم لقواعد النحو ؛ مثل : قياسهم العطف بـ "لكن" على العطف بـ "بل" في الإيجاب .

ج/ القياس على الشاذ والقليل النادر ممّا أحدث تشويها في نحوهم ؛ إذ يمكن أن ينتج عن ذلك قواعد فرعية تنقض القواعد الكليّة نقضاً في بعض الأحيان .

د/ عدم الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف وإقصائه عن دائرة الاحتجاج لذات الأسباب السابقة . ولا يُعد هذا الأمر مأخذاً إذا عُلل عدم احتجاجهم به بغير ما شاع من أسباب .

وعليه نقولُ : إذا كان منهجُ البصرة منهجاً عقلياً فإنَّ منهجَ الكوفة منهجٌ نقليٌّ احترم كلام العرب وقدَّسه ، فما اتصل علمٌ بعقلٍ ونظرٍ إلا والبصريون رواده ، وما اتصل علمٌ بروايةٍ وخبرٍ إلا والكوفيون أصحابُه .

---

[٣٤]/ انظر المدارس النحوية – شوقي ضيف ، ص٤٩ .

[٣٥]/ انظر الخصائص – ابن جني : أبو الفتح عثمان ، تحقيق : محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت ، بلا ط ، بلا ت ط ، ج٣ ، ص٢٩٢ .

[٣٦]/ المدارس النحويّة – شوقي ضيف ، ص١٦٠ – ١٦٤ وص٢٣٠ .

منهجُ المذهب البغدادي في تقعيد القاعدة النحوية

حينما علم البصريون بمدى النعيم الذي يعيش فيه الكوفيون في بغداد عقد بعض نحاتهم السفر إليها والإقامة فيها ، فشدوا رحالهم وتيمموها ، ومن هؤلاء المبرد زعيم المدرسة البصرية في زمانه ، فشدَّ رحاله إليها ، وعمل على إقامة مجلس له في مسجدها رغم تصدي أبي العباس ثعلب وأنصاره له ، فنجح المبرد في إقامة حلقته في بغداد ، واستطاع أن يستقطب بعض تلاميذ ثعلب ، كأبي إسحق الزجاج وأبي علي الدينوري ، وهكذا التقى المذهبان في بغداد ، واحتدم الصراع بينهما ، فنتج عنه إقامة المناظرات والحلقات والمنافرات بين كل من المبرد وثعلب ، ولكل فريقٍ مشايعون ومعارضون ، وظلَّ الحالُ على هذا المنوال إلى أنْ تُوفي المبرد وثعلب زعيما المذهبين البصري والكوفي ([٣٧]) .

ونتيجة لتلك الاختلافات والمنافرات والمساجلات بين المذهبين برزتْ طائفةٌ من العلماء ، ممَّن تتلمذوا على يد المبرد وثعلب ، هذه الطائفة لديها الرغبة الأكيدة في نبذ الأفكار العدائية وتلك الروح الهدامة بين العلماء ، فآثروا إنشاء مذهب جديد ، يُبنى على الوسطية والانتخاب والاختيار من المذهبين السابقين ، بحيثُ يُبنى ذلك الانتخاب والاختيار على أصح الآراء في منهج كلتا المدرستين ، فأُسس المذهب البغدادي . وعليه يمكن القول تأسَّسَ المذهبُ البغدادي منذ منتصف القرن الثالث الهجري ، وانقسم رجاله إلى ثلاث فرق من النحاة .

أمَّا الفريق الأول فقد ضمَّ النحاة الذين تتلمذوا على علماء الكوفة وتعمقوا في دراسة مذهبهم ثم درسوا بعد ذلك النحو البصري ، وارتضوا فيه قواعد آمنوا بصحتها ، وثبت لديهم جدية الاستدلال بها ، وهم مع إيمانهم الشديد بجدية المذهب البغدادي الجديد لم يستطيعوا التخلص تماماً من مذهبهم الكوفي الذي تعمقوا في دراسته ؛ لذلك كثيراً ما نجدهم ينتصرون له ويستدلون لصحة آرائه ، ويمثل هذا الفريق : أبو موسى الحامض وابن كيسان وابن شقير وابن الخياط والأخفش الأصغر .

وأمَّا الفريق الثاني فقد ضم النحاة الذين درسوا المذهب البصري وتعمقوا في دراسته وتبحروا فيه ، ثم درسوا من بعد ذلك نحو المذهب الكوفي ؛ ليتعرفوا على معالمه وسماته ومدى جدية استنباط قواعده ، وهم مع إيمانهم الشديد بجدية المذهب البغدادي الجديد لم يستطيعوا التخلص تماماً من سطوة المذهب البصري ولم يتخلصوا من ميلهم إليه ؛ لذلك كثيراً ما نجدهم ينتصرون له ويستدلون لصحة آرائه ، ويمثل هذا الفريق : أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني والزمخشري وأبو البركات ابن الأنباري وابن الشجري والزجاجي ومبرمان وابن درستويه .

كانت الغلبة في المذهب البغدادي لنحاة الكوفة في البداية ، وساعدهم على ذلك أنَّ السلطان كان في جانبهم ، فغلب اختيارُهم وانتخابُهم اختيارَ وانتخابَ نحاةَ البصرة ، وظل الحال هكذا فترة من الزمان ، وذهبت الأيام حتى جاء القرن الرابع ، حيث ظهرت طائفة بغدادية ثالثة ، استطاعتْ أنْ تتخلص من سيطرة المذهب الكوفي ، فأخذوا بمبدأ الاختيار والانتخاب من كلا المذهبين دون عصبية أو ميول . ولمَّا كانت سلائق العرب في بواديهم على عهدها بسلامة اللغة وفصاحة اللسان قرر نفرٌ من نحاة المذهب البغدادي الجديد الذهاب إلى البادية أو السماع من الأعراب الذين يفِدون إلى حواضرهم ، واستنبطوا منهم قواعد جديدة ، ومن نحاة هذه الطائفة الثالثة : الرماني والربعي وابن برهان والتبريزي وأبو نزار الحسن بن صافي وابن الخشاب وابن الدهان والمطرزي وصدر الأفاضل أبو الفتح ناصر بن أبي المكارم والكندي وابن الخباز أبو العباس شمس الدين أحمد .

---

[٣٧] / انظر نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة – الشيخ محمد الطنطاوي ، مكتبة إحياء التراث الإسلامي ، بلا م ن ، ط١ ، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م . ، ص١٥٠ . وانظر النحو العربي (نشأته ـ تطوره ـ مدارسه ـ رجاله) – صلاح روَّاي ، دار غريب ، القاهرة ، ط٢٠٠٣م ، ص٤٤١

كل هؤلاء ومن سبقهم حملوا لواء المذهب البغدادي ، ووطدوا ركائزه وفق منهج يقوم على الانتخاب والاختيار والترجيح ، كما يقوم أحياناً على الاستقراء من كلام العرب . وبهذا المنهج تمكنوا من دفع عجلة النحو إلى الأمام ، وقدموا منهجاً يمكن وصفه بالاعتدال ، وهذا المنهج مدين لنحو المذهبين السابقين المذهب البصري والمذهب الكوفي ، فلولاهما لما كان لهذا الأخير وجود على هذه البسيطة . وعليه فإنَّ المنهج البغدادي تمثل في الاختيار والانتخاب والسماع .

منهج المذهب المصري في تقعيد القاعدة النحوية :

لمَّا كانت البصرة والكوفة وبغداد تقوم فيها المذاهب النحوية على وجهٍ من التنافس والتباين في الآراء والاختلاف في المناهج والأحكام ؛ كانت مصر تعيش نتائج الفتح الإسلامي وتأمين البلاد وتحصين الثغور وتعريب الدواوين ، وكان علماؤها منشغلين بالعلوم الشرعية وأحكام الدين ، وما أنْ فرغوا من ذلك كلِّه كان العراق قد وصل إلى مرحلة النضج والاكتمال في علوم النحو ، فتوجه المصريون صوب العراق يدرسون علوم اللغة ، وبعد دراستها عادوا فأسسوا المذهب المصري النحوي ، وعلى مقدمة هؤلاء : ابن ولَّاد التميمي والدنيوري وأبو جعفر النحاس وكراع النمل أبو الحسن علي بن الحسن والكندي وابن بري وابن الحاجب والأشموني وابن هشام الأنصاري وغيرهم ([٣٨]).

أمَّا منهجها فقد كان في بدايتها شديد الاقتداء بالبصريين ، ثم أخذ منهجها في القرن الرابع الهجري يمزج بين آراء المذاهب السابقة البصرية والكوفية ، وأضاف لها آراء المذهب البغدادي ، وقد بُني منهجه ــ مع المزج بين آراء المذاهب السابقة ــ على التحليل الدقيق للأحكام والمناقشة الواعية والاستنباط السليم ، مع جمال في العرض وحسنٍ في التأليف ، ويمثل هذا المنهج خير تمثيل : ابن هشام الأنصاري علم المذهب البصري ([٣٩]) .

منهج المذهب الأندلسي في تقعيد القاعدة النحوية :

فتحَ المسلمونَ بلادَ الأندلس في العهد الأموي أيام الوليد بن عبد الملك سنة ثلاث وتسعين هجرية ، على يد موسى بن نصير بواسطة قائده طارق بن زياد .

وبعد هذا الفتح أخذت بلاد الأندلس في تعلم العربية والاهتمام بها ، هذا بعد تطهير البلاد من الفرنجة ، حيث بدأ الولاة العرب في تشجيع العلماء ، وبذل العطايا والهدايا والمكافآت لهم ؛ ترغيباً لهم في الدراسة والبحث والتأليف والتصنيف في العلوم المختلفة ، وعلى رأس تلك العلوم علوم اللغة ، فأولاها الأندلسيون رعاية خاصة وعناية شديدة ؛ وذلك لما لها من قوة علاقة بعلوم القرآن والشرائع ؛ ولأنَّها وسيلة لفهم علوم الدين من تفسير وحديث وفقه .

وأخذ الأندلسيون يرحلون إلى المشرق لينهلوا من علومه ويستسقوا من معارفه ، فأخذوا علم القراءات ونقلوه إلى الأندلس ، ونقلوا معه علم النحو العربي ، ولعلَّ هذا النقل وتلك الهجرة هي التي دفعت بابن بسام لقوله : "إلا أنَّ أهل هذا الأفق أبوا إلا متابعة أهل المشرق ، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة ، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أو طنَّ بأقصى الشام والعراق ذباب ؛ لجسوا على هذا صنما وتلوا ذلك كتاباً محكما" ([٤٠]) .

---

[٣٨]/ انظر المدارس النحوية – شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٩ ، بلا ت ط ، ص٣٢٨ . وانظر النحو العربي – صلاح رواي ، ٥٨١ .

[٣٩]/ انظر المدارس النحوية – شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٩ ، بلا ت ط ، ص٣٢٨ . وانظر النحو العربي – صلاح رواي ، ٥٨١ .

[٤٠]/ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة – ابن بسام : أبو الحسن علي الشنتريني ، تحقيق : إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط١ ، ١٩٨١م ، ج١ ، ص١٢ .

وبدأ الأندلسيون دراسة النحو بالنحو الكوفي ، وبعد قرنٍ من الزمان تقريباً أخذوا في دراسة النحو البصري ، ثم سار المذهبان في الأندلس جنباً لجنب ، ثم عكفوا بعد ذلك على دراسة المذهب البغدادي ، ثم أخذوا في الجمع والتوفيق بين هذه المذاهب الثلاثة حيناً ونقد تلك المذاهب حيناً آخر .

أمَّا المنهج الذي اتبعه الأندلسيون في بناء مذهبهم النحوي فقد قام على تصويب أخطاء مناهج المذاهب السابقة ، لاسيَّما البصرية والكوفية ، فدعا منهجهم إلى ضرورة إعادة تقعيد القواعد في ضوء توجيهات وأساليب القرآن الكريم بقراءاته المتواترة والآحاد ، وفي ضوء أساليب الحديث النبوي الشريف ، إضافةً إلى كلام العرب بدوييهم وريفييهم ، وفي نقد العلل خصوصاً العلل الثواني والثوالث منها ، ونقد التأويل والتقديرات المتعسفة وإبطال نظرية العامل جملةً وتفصيلا عند بعضهم ، وإلغاء التدريبات غير العملية ، والأمثلة الافتراضية التي لا تمت إلى واقع العربية.

أمَّا إدخالهم للحديث النبوي الشريف في عملية التقعيد فهذا ما يُلتمس عند ابن مالك في ألفيته ، وأمَّا إبطال العلل ونظرية العامل وإلغاء التدريبات غير العملية والأمثلة الافتراضية فيُلتمس ذلك عند ابن مضاء القرطبي في كتابه (الرد على النحاة) ، وعليه يمكن القول إنَّ المنهج الأندلسي تميّز بإمعان النظر في المذاهب السابقة وتمحيصها والخروج بآراء متجددة قد لا تخلو من حرارة وشدة نقد عند بعضهم كما في حالة ابن مضاء القرطبي ، وهذا على خلاف المنهج المصري الذي اتسم بروح المراجعة الهادئة .

خاتمة البحث ونتائجه وتوصياته :

حاولت هذه الدراسة إمعان النظر في المذاهب النحوية المختلفة ومعرفة نهج كل مدرسة في التقعيد النحوي وبيان ما وُجّه لكل مذهب من نقد أو ملاحظات مع التطرّق إلى إفادة المدارس النحوية المتعاقبة من نظيرتها أو نظيراتها التي سبقت ، وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية :

١/ اعتماد نهج المدرسة البصريّة في استخلاص القاعدة النحوية على الاستقراء والسماع الدقيق من العرب الفصحاء الأقحاح ؛ إذ تُبني القاعدة النحويّة على ما يُجمع عليه السواد الأعظم منهم .

٢/ الغاية من التأويل عند البصريين هي اطراد قواعدهم .

٣/ منهج البصرة منهج عقلي ومنهج الكوفة منهج نقلي .

٤/ المنهج البصري منهج تعليمي .

٥/ توسع المذهب الكوفي في السماع والقياس أحدث اضطراباً في بعض آرائهم النحويّة .

٦/ تميّز نهج البغداديين بالأخذ من كلا المذهبين البصري والكوفي بنصيب والخروج – في بعض الأحيان - بآراء خاصة أثرت عملية التقعيد النحوي .

٧/ تميَّز المنهج المصري بالمزج بين أراء المذاهب الثلاثة (البصري والكوفي والبغدادي) والتحليل الدقيق للأحكام والمناقشة الواعية والاستنباط السليم مع جمل العرض وحسن التأليف .

٨/ تميَّز المنهج الأندلسي بالجمع والتوفيق بين أراء المذاهب الثلاثة (البصري والكوفي والبغدادي) وتصويب الأخطاء والبعد عن التعليلات والتقديرات المتعسفة وإلغاء التدريبات غير العملية والأمثلة الافتراضية ، ونقد نظرية العامل عند بعضهم ، كما تميَّز بالاستشهاد بالحديث النبوي الشريف والقراءات القرآنية كما تميَّز بحرارة النقد .

٩/ جميع المذاهب النحويَّة جعلت من القرآن الكريم ـــــ في أغلب الأحيان ـــــ مقرراً ومؤكداً لا مؤصِّلاً ومقعِّداً .

ونتمنى أخيراً أن نكون قد وُفقنا في إعطاء صورة واضحة لنهج المذاهب النحويّة المختلفة في عمليّة التقعيد النحوي ، ونرجو أن نوصي في هذه الخاتمة بعمل دراسة تسبر غور عملية الاستشهاد عند النحويين في المذاهب المختلفة .

المصادر والمراجع :

١/ القرآن الكريم .
٢/ أبو الخطاب الأخفش الكبير (حياته آراؤه) ، حياة مصطفى ، محمد عقاب ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .
٣/ الاقتراح في علم أُصول النحو - السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، قرأه وعلَّق عليه : محمد سليمان ياقوت ، دار المعارف الجامعية ، بلا م ن ، ط١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٦م .
٤/ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، ابن الأنباري (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري أبو البركات كمال الدين) ،المكتبة العصرية ، بلا م ن ، ط١ ، ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م .
٥/ البيان والتبيين ، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي) ، دار ومكتبة هلال ، بيروت ، ط١٤٢٣هـ .
٦/ التعليل النحوي في الدرس اللُّغوي القديم والحديث ، الكندي (خالد بن سليمان بن مهنأ) ، دار المسيرة ، عمان ، ط١ ، ١٤٢٧هـ ــ ٢٠٠٧م .
٧/ توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ، ابن قاسم المرادي (أبو محمد بدر الدين حسن بن عبد الله بن علي) ، تحقيق عبد الرحمن علي سليمان ، دار الفكر العربي ، بلا م ن ، ط١٤٢٨هـ ــ ٢٠٠٨م .
٨/ الخصائص ، ابن جني (أبو الفتح عثمان) ، تحقيق محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت ، بلا ط ، بلا ت ط .
٩/ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسام (أبو الحسن علي الشنتريني تحقيق إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط١ ، ١٩٨١م .
١٠/ رأيٌ في بعض الأصول اللُّغوية والنحوية ، عباس حسن ، مطبعة العالم العربي ، القاهرة ، ط١٣٧١هـ ــ ١٩٥١م .
١١/ شرح ديوان الفرزدق ، إيليا الحاوي ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٣م .
١٢/ شرح الكافية الشافية ، الجياني (محمد بن عبد الله بن مالك الطائي أبو عبد الله جمال الدين) ، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي ، جامعة أم القرى ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، مكة المكرمة ، ط١ ، بلا ت ط .
١٣/ الصحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية ، الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي) ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م .
١٤/ طبقات فحول الشعراء ، ابن سلَّام الجمحي (محمد) ، قرأه وشرحه أبو فهر محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، مطبعة المدني ، بلا ت ط .
١٥/ العمدة في محاسن الشعر وآدابه - ابن رشيق القيرواني : أبو علي الحسن بن رشيق ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بلا م ن ، ط٥ ، ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م .
١٦/ الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم الظاهري (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، بلا ط ، بلا ت ط .
١٧/ الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم الظاهري (أبو محمد علي بن أحمد) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، بلا ط ، بلا ت ط .

١٨/ الكامل في اللُّغة والأدب ، المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م .
١٩/ كتاب التعريفات ، الجرجاني (علي بن محمد بن علي الزين الشريف) ، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .
٢٠/ كتاب السبع في القراءات ، ابن مجاهد البغدادي (أحمد بن موسى العباس أبو بكر) ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٤٠٠هـ
٢١/ لسان العرب ، ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي الأفريقي) ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ .
٢٢/ المدارس النحوية أُسطورة وواقع ، إبراهيم السمرائي ، دار الفكر ، عمان ، ط١ ، ١٩٨٧م .
٢٣/ المدارس النحوية ، خديجة الحديثي ، دار الأمل ، أربد ـــ الأردن ، ط٣ ، ١٤٢٢هـ ـــ ٢٠٠١م .
٢٤/ المدارس النحوية ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٩ ، بلا ت ط .
٢٥/ المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها ، السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين) ، تحقيق فؤاد منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ ـــ ١٩٩٨م .
٢٦/ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، فخر الدين الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٠هـ .
٢٧/ معاني القراءات الأزهري (محمد بن أحمد الهروي أبو منصور) ، مركز البحوث كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ـ المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ـ ١٩٩١م .
٢٨/ المنصف لابن جني (شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني) ، ابن جني (أبو الفتح عثمان) ، دار إحياء التراث القديم ، بلا م ن ، ط١ ، ١٣٧٣هـ ـــ ١٩٥٤م .
٢٩/ النحو العربي (نشأته ـ تطوره ـ مدارسه ـ رجاله) ، صلاح روَّاي ، دار غريب ، القاهرة ، ط٢٠٠٣م .
٣٠/ نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، الشيخ محمد الطنطاوي ، مكتبة إحياء التراث الإسلامي ، بلا م ن ، ط١ ، ١٤٢٦هـ ـــ ٢٠٠٥م .